

تقديم الشاعر والروائي العراقي الشهير فاضل العزاوي

[السيدة كيرا كروغلوكوفا المحترمة، مديرة شعبة إدارة المؤتمرات،
السيد محمد أوكامضان المحترم، رئيس قسم الترجمة العربية،
السيدات والسادة،]

إنه لي شرفني أن أخاطبكم بفرح مضاعف بمناسبة الاحتفاء بيوم اللغة العربية في مكتب الأمم المتحدة في جنيف. أولاً، للدعوة التي وجهها لي رئيس قسم الترجمة العربية وما تعنيه لي كمعجب بهذه اللغة الرائعة وعاشقتها؛ وثانياً، لاقتناعي بأن هذه اللغة جديرة بالاحتفال بها كل الجدارة، وربما أكثر من أية لغة أخرى، وذلك لعدة أسباب: أولاً، لأنها لغة إلهية، وتلك صفة لا يمكن لأي لغة أخرى أن تتباهى بها عن حق؛ وثانياً، لأنها اللغة التي كان يتحدث بها أجدادي العظام في تلك الأرض التي كانت تسمى الأندلس قبل عدة قرون؛ وثالثاً لأنها لغة العرب واللغة الرسمية لـ 22 دولة، وكذلك لدى هذه المنظمة منذ ما يقرب من خمسين عاماً. واسمحوا لي أن أضيف المزيد من الحجج: لأنها لغة واحدة ومتعددة في نفس الوقت، ويمكن اعتبارها لغة معجزة لذلك، نظراً لتنوعها الظاهر ووحدتها الباطنة، التي لا يدركها تماماً إلا من يتكلمها منذ طفولته. بل هي أيضاً لغة الشعر - ديوان العرب - والشعراء، من الخنساء إلى المتنبي، ومن أبي تمام إلى أبي العلاء المعري، مروراً بمحمود درويش، وابن زيدون، ومسلم ابن الوليد، وابن الرومي، وحتى مخلد بن بكار الموصلية، لما لا، وإلى آخر قائمة لا نهاية لها من أسماء مجيدة وسامقة، ازدان بها تاريخ الفكر والأدب العربي والعالمي وجعلت من هذه اللغة خزانة خالدة لإبداع البشرية جمعاء.

وبالطبع، لأن هذه اللغة النبيلة، التي ترتدي أجمل حلة كتابية يمكن تخيلها، وأقصده الخط العربي الأنيق، هي لغة الشاعر الذي يكرمنا اليوم بزيارته، وإن كان هذا، بسبب الظروف الصعبة التي نمر بها منذ ما يقرب عامين، عبر الإنترنت، بإنشاده المسجل لبعض قصائده: وهو الشاعر والروائي العراقي الكبير فاضل العزاوي.

الكاتب فاضل العزاوي، المولود في مدينة كركوك العراقية في أربعينيات القرن الماضي، هو رأس الجماعة الشعرية التي تعرف بـ "جماعة كركوك"، ويعتبر -وهذا لمصادفة- شاهداً فريداً على مسار بلاد الرافدين خلال الأزمان المضطربة التي عاشها شاعرنا ووطنه طوال العقود المأسوية الماضية وأيضاً ممثلاً بارزاً -مثل أدونيس، والبياتي، والسياب، وسركون بولص وآخرون- عن النفي الفكري العربي. لقد ذاق فاضل العزاوي مرارة السجن في وطنه، وهذه التجربة المؤلمة تركت في شعره، وكأنما هي ندبة في جلد ذاكرته، كلمة مروعة تتكرر في قصائده بتردد غير معتاد، وهي "جلاد". ولكن هذه المحنة العصبية لم تمنعه الخروج من السجن رجلاً متفائلاً وشاعراً متمسكاً باستقلاليتته الإبداعية والفكرية الراسخة، ولم يتخل عنها منذ ذلك الوقت، وهذا ربما هو أحد أسباب ذهابه إلى منفاه الألماني الحالي وربما النهائي...

شعر فاضل العزاوي معجزة، ومنهج حكيم بين القديم والحديث، بين البديع والإبداع، بين البيت الحر وقصيدة النثر، لأنه ابتعد عن العروض وخاض مبكراً مجالات غير مستكشفة، بثقافته العتيقة الواسعة وروح الفكاهية، بحيث في جسمه الرقيق وابتسامته الطيبة وذهنه الوقاد ما زال يعيش طفل لعب، ذلك الطفل نفسه الذي كان يقرأ بإعجاب شديد روايات ألف ليلة وليلة في بيته العائلي في كركوك؛ ذلك الطفل الذي أتقن التركمانية في مسقط رأسه، مدينة كانت رمزاً أصيلاً لتعددية اللغات؛ ذلك الطفل الذي تعمد إتقان الإنكليزية بمجرد كتاب وعزمه الوطيد وبعون معلم ريفي، فتوجت نيته بالنجاح في نهاية المطاف، وتخرج في الأدب الإنكليزي من جامعة بغداد، وحصل بعدما نفي على الدكتوراه من جامعة لايبزيغ الألمانية. هكذا، نراه اليوم عضو تحرير مجلة "بنيال" الأدبية البريطانية.

فاضل العزاوي، الذي كتب أكثر من عشرين مؤلفاً، ترجم معظمها إلى أهم اللغات، بين مجموعات شعرية (8 مجموعات، جمعها في مجلدين كثيفين يشغلان ما يقرب من 1000 صفحة)، وروايات ("آخر الملائكة" و"مخلوقات فاضل العزاوي الجميلة" و"مدينة من

رماد" وإلى آخرها) وكتب نقدية، فضلاً عن الكتب التي ترجمها هو عن الإنكليزية والألمانية والبرتغالية أو إليها، يعرف نفسه بأنه رجل عابر، فنحن نعتبر أنفسنا محظوظين لأنه مر بهذا الاحتفال المصغر اليوم لسبب الجائحة، وترك لنا شذرات من نبوغه الفذ وتفاؤله الخلاق. قال هو في إحدى قصائده:

إذا ما مت عدّ دوا رذائلي كلها

ماذا يهمني ما ستقولونه عني؟

يكفي أنني كنت شاعراً.

شكراً، يا فاضل، لقصيدتك التي قرأتها لنا ولكونك شاعراً، لأنه، كما قال هلدارلين، "ما سيبقى هو الذي أقامه الشعراء". وشكراً لحسن الإصغاء.
